او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي ؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ اشارة الى أنهم فتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سلمتْ) . ويفيد قوله : (وتسأل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيما في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الاتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجعه دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملأ النواحي سبابا وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بذيء ولا صخاب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحجة على الأنام ، بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتفنج والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفقه في الرد على « المنار » ، فكان مجلبة الخزي والعار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، وما عهدت الهداية بشتم الورى ،

بعد أن أهدى الينا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب الينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر ، والعاهة التي لا تسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لا تنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدَّث مسيح مرسل امام عند شرذمة قليلين . ما لهم من دنيا ولا دين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطّال شطار ، يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح البنوّة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث النبي بخزعبلات كاسدة ، « ثم ذكر هذا العالم مجادلته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردّنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقلته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه .وأطلق بالسب لسانه، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقعاً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » »

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الألمعي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق البينات ، وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها ، ولا تكأة يتوكأ عليها ، الا ذلك المؤلف الذى هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب اليه ، فقد ادعى انه معجز للبشر ، لاتأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه ، الذي جعله عمدة تحدّيه ؟ . ان قال ان العمدة ، هي قصر المدة ، فاني ألفته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولا اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل لك عليه من بينة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة ، في مدة قليلة ، ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات ،لأنه ليس من خوارق العادات ، فالفناري ألف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام ، ولم يتحد به أحداً من الأنام ، وثالثاً اننا نطلب منه محكمين من أهل الانصاف ، يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أغاليط كتابه في اللفظ والفحوى ، والعاقبة كما قال الله تعالى للتقوى ، ليعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة ، لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة ،لا يكون بتقويض أركانهما الرفيعة ، وتشويه محاسنهما السنية السنيه ، وان إصلاح نفوس المسلمين ، لايكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنعجل قبل تعيين المحكمين بإظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعدنا الجزء الآتي

أما الآن فاننا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعساطته في خطابه ، قال بعد مازعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانصه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتيب للاستفسار ، ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذيني ويزرى

غير وان في الازراء والاتطام ، ولا لاوالى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ، وعدان يؤذيني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والتي وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما أمن كأولي النهى . وأخلد الى الارض وما استشرف كأولي التقى . وخرّ بعد ما علا ، وان الحرور شيء عظيم فما بال الذي من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى

ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقمت لتندد بهواني وذلتي ، وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات النواقيس ، وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فجرحتني كالاكز والواكز . وذكرتني بالنوش والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الخصائل الفرعونية . ولست في هذا القول كالمتندم ، فان الفضل للمتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة غمي . فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أي فلم يصدق عليه حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، لانه ينظر بظلمة غروره) والرؤية ماتحققت ، وجدت بالمعنى المنعكس ريّاك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقائلها ولا تليق بنزاهة من تفهيم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لايفارقها اللظى ، وتفورمنها الى هذا الوقت نار الكبر والعلى . فعفى (كذا) الله عن موسى لم تركها وما عفّى ، (وهنا الأدب ... موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير على أن تعذيب مصر واهلاكها بيد الله لابيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للغلط والتكلف مانصه : « وحسبتك حبيباً يحيي كنسيم الصباح ، فرأيت كعدو شاكي (كذا) السلاح ، وخلت انك تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حدتك وشدتك من غير التحقيق (كذا) ، فأخذني ماياخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكني استروت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمد الى التوهين والتحقير . وكيف قصد شراً لايزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء من مثل هذا النحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا

حسداً من عند نفسك لا لاظهار الواقعات ، (اني لا أدعي المسيحية فاحسده على دعواها ولاشيء آخر يحسد عليه) فابتدرت قصدك ، لئلا يصدق الناس حسدك ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حيلة الازراء ، فيستفزهم ويجرءهم على كلما قالت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وماتفوهت وماتجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فاخاف أن يتجدد الاشتعال من كلمات المنار ، ويسقط فيه ويرتق على صورة النار . »

ثم ادعى انه كان غالب علماء الهند وسرق سجعات من كلام الحريري وقال « فالآن أحيي الائام بعد الممات ، وشد المنار عضدهم بالخزعبلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ، ويستأنفون القتال ، ويبغون النضال ويخدعون الجهال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا نداً ، بما جاء المنار شيئاً اداً ، وجاز عن القصد جداً ، (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كلمه حزب من العمين ، الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعترضين والمزدرين وقال : « ولكن رأيت أن صاحب المنار ، عظم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعشي والاسحار ، فبلغني ما يتخافتون ، وعثرت على ما يسرون ويأتمرون ، وأخبرت أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب المنار : « بل أصر على الإزراء في الجريدة ، فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالعصيدة ، وتلقفوا قوله وجددوا الخصومة بعد ماقطعوها كاهو من شيم القرائح البليدة ، وحسبوا كلمه كالاسلحة الحديدة ، وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجرائد الهندية ، وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرءة ، وآذوا قلبي كما هي عادة الرذل والسفهاء ، وسيرة الأراذل من الأعداء ، » ثم قال : « وما أظنني أن يكتب المنار من معارف كمارف كتابي ، ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ماعمد الى الاحتقار والتطاح كالعجماوات ، بل أراد أن يعصم كلام الله من سفار التضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يظن ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلاشك انه ادخر لنفسه بهذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأي ذنب على من سبني لحماية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال — : « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره » الخ الخ